

المبحث الخامس

الشموخ الإيماني

كل الآداب المتقدمة (التفريق - الاستئذان احتقار العشق - التبكير بالتزويج) كل هذه الآداب تنتج مراهقا ذا شمم وهمة ونفس آبية مترفعة لا ترضى مشاركة الشيطان، ولا مشاطرته بل عندها شموخ إيماني على كل المغريات مهما كانت، وحيث كانت.

= معاذ الله

وقد حفل القرآن الكريم بأمثلة كثيرة في هذا الشأن اخترت منها طرفا من قصة يوسف عليه السلام كمثال للإباء والشمم والشموخ.

قال تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ (١) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴿١﴾

والمراودة : المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء .. وهي مفاعلة من واحد كمطالبة الدائن ومماطلة المدين، ومداواة الطبيب فجمال يوسف كالطرف ، ومطالبتها الطرف المقابل.

ويجوز أن تكون من الرويد وهو الرفق والتجمل وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة.

فالمعنى : خادعته عن نفسه متجمله لموافقته إياها ففعلت كما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد أن يخرج من يده (٢)

(١) يوسف : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) انظر الكشاف ٢ / ٢١٢ ، وأبني السعدي ٣ / ٩٢ .

فمراودتها مرت بمراحل : الأولى الإغراء حيث هيئت نفسها لاجتذاب ميله من حيث ذاتها وثيابها بإظهار أنوثتها.

المرحلة الثانية : تغليق الأبواب وتبهيئ الأجواء.

المرحلة الثالثة : قولها فى رقة وميوعة وتكسر تهيئت لك ولم أتهيئ لغيرك. ولا بد أن هذه الدعوة بكل حيثياتها وما تحتموه من فنون الإغراء هى اجمال كريم لدعوة مختلفة الأساليب تجيدها المرأة الوالهة ، ويعف القرآن عن التصريح بها.

وهيت لك : اسم فعل بمعنى هلم أى أقبل وتعال فأننا أقول لك أو الخطاب لك أنت يا يوسف . فاللام للبيان حيث بينت من له الخطاب^(١)

وكان الجواب : معاذ الله أى أعوذ بالله من ذلك.

إنه ربي أحسن مثواى أى سيدى الذى ربانى فكيف أعصه والحال أنه لا يفلح الظالمون.

واقدمت به : بمخالطته مستحضرة كل ما سبق إعداده له.

وهم بها : بمخالطتها حيث نازعته شهوته الكائنة بفطرتها فيه والمطبوع عليها كل البشر. فهو ميل يشبه الهم كما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم.

ولو لم يكن الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع؛ ولأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء

(١) انظر حاشية الجمل : ٤ / ٢٤ .

وشدته، ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده
المخلصين.

ويجوز أن يكون شارف أن يهم كما يقول الرجل « قتلته لو لم أخف الله »
فهو قد جاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح
حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن الذي
هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها.

ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب صورة كاملة عليها ليجعل له
لسان صدق في الآخرين كما جعله لجدته الخليل إبراهيم عليه السلام،
وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في
مواقف العثار (١)

ومن العلماء من قال بأن همه شروع في دفعها عن نفسه.

المهم أننا لسنا مع القائلين بخروج شهوته من أنا مله وما إلي ذلك من
ضعيف القول ودخيله.

يشهد لذلك وجود « لولا » التي أبانت عن سبب امتناعه عنها وأنه لم يكن
لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي
الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية (٢)

فهو قد غالب نفسه، ونصره الله على شهواته لأنه من عباد الله المخلصين
وهو الذي استعصم أي : امتنع بنص قولها ﴿ ... ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم ﴾ (٣)

(١) انظر الكشاف ٢ / ٢١٢ بتصريف يسير .

(٢) انظر أبو السعود ٢ / ٦٥ .

(٣) يوسف - ٢٢ .

بل هو الذى أثر وحشة السجن على التلذذ بالحرام

﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾

وقد استعان بقوة ربه لصرف كيد الشياطين عنه فأعانه

﴿ وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾^(١)

« وهذا فزع منه عليه السلام والتجاء إلى ألطف الله تعالى جرياً على سنن الأنبياء والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله - عز وجل - وسلب القوى والقدر عن أنفسهم مبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث (أدركني وإلا هلكت).

وهذا برهان لما كان عليه يوسف عليه السلام لا مزيد عليه ولا شئ

أنور منه. ^(٢)

فقصة يوسف عليه السلام يتعلم منها الشباب المسلم كيف تأدب القرآن فى ذكرها وذكر أقظع أساليب النساء فتنة وإغراء تكسراً وترقعا وتغنجاً أمام المشتبهى من الرجال بأسلوب بليغ حى يسوده الاحتشام ويقوده الوقار.

- نتعلم من هذه القصة الشامخة كيف يواجه المسلم هذا الإغراء المكشوف الذى حدث من امرأة العزيز والذى هو - من وجهة نظرى - ما يحدث من عرى فاضح وتبرج مهين فى الأماكن العامة وغيرها حتى بدت العورات وانكشف المستور، وهتك ستر الحياء عن المرأة التى تنتسب إلى الاسلام فالمرادة حاصلة وبأساليب متعددة وفى أماكن يفترض فيها غير

(١) يوسف : ٢٢ .

(٢) انظر أبى السعود ٣ / ١٠٤ ، والكشاف ٢ / ٢١٨ .

ذلك كما ماكن التعليم والتربية. بل إن امرأة العزيز عندما أرادت ذلك غلقت الأبواب أما بائعات الهوى أصبحن على الهواء مباشرة ولا حياء.

إني أخاف الله

يتعلم المسلم من هذه القصة القرآنية أنه من تمسك بربه جعل له مخرجا ومصرفا أليس ما حدث مع يوسف عليه السلام هو ما سطره نبينا - ﷺ - في السنة المطهرة.

فيما رواه البخارى عن النبى - ﷺ - قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم وه شاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله » (١)

قال الحافظ ابن حجر : المراد بالمنصب : الشرف أو الأصل.....

وقد وصفها بأكمل الأوصاف التى جرت العادة بمزيد الرغبة لمن تحصل فيه وهو المنصب الذى يستلزمه الجاه، والمال مع الجمال وكل من يجتمع ذلك فيها من النساء.

والمراد الدعوة إلى الفاحشة وهذا ما جزم به القرطبى وهو الأظهر ويؤيده وجود الكناية فى قوله ﷺ فى رواية «دعته إلى نفسها».

وردُ الشاب المسلم الذى نشأ فى عبادة الله : إني أخاف الله.

بأن يقولها بلسانه زجرا لمن دعته ، أو بلسان حاله بامتناعه وإياه.

قال عياض قال القرطبى : إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى ومتمين تقوى وحياء (٢)

(١) البخارى كتاب أبواب صلاة الجماعة باب : من جلس فى المسجد ينتظر ٢ / ١١٤

ومسلم كتاب الرقاق باب : قصة أصحاب الغار الثلاثة ١٧ / ٥٥

(٢) انظر الفتح ٢ / ١١٥ بتصريف يسير .

تركنا مخافة من الله

وهكذا يظهر اتحاد موقف يوسف عليه السلام في القرآن بموقف الشاب الذي يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله - الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال لها إني أخاف الله.

وهذا عينه الذي خاف من ربه بعد تمكنه من ابنة عمه وتركها ابتغاء وجه الله وكان ضمن أصحاب الصخرة (١)

يقول ابن حجر : في رواية النعمان ... « فلما كشفتها ارتعدت من تحتي فقلت مآك قالت : أخاف الله رب العالمين فقلت : خفتيه في الشدة ولم أخف في الرخاء فتركتها »

وفيه فضل العفة، والانكفاف عن الحرام مع القدرة. وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها.

وأن انفع الثلاثة التي انحدرت عليهم الصخرة هو صاحب المرأة.

حيث إن صاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه لأنه أفاد أنه كان باراً بأبويه ، وصاحب الأجير نفعه متعدد وأنه أفاد أنه كان عظيم الأمانة وصاحب المرأة أفضلهم :

لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قال :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (٢)

(١) أخرجه البخاري كتاب الإجارة باب : من استاجر أجيراً فترك أجره ٢٥٥ / ٤

وكتاب أحاديث الأنبياء باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ٢٨٥ / ٦

(٢) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

= الحياء من الله =

هذا السمو الإيماني الذي صدر من صاحب المرأة هو الحياء من الله الذي ظهر من موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الكبير الذي وصفته أحدهما لأبيها بقولها .

﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ (١)

وكانت قوته : في رفعه حجر البئر الثقيل .

وأمانته : في غض طرفه عنها وقوله لها ﴿ امش خلفي ودليني على الطريق ﴾ (٢)

وهكذا من خلال مواقف الاتقياء الذين هم مثلنا نستطيع المسلم أن يتشبه، للشباب أن يذهل ويتعلم فيقوم بدوره عاليا شامخا فوق سفساف الأمور متربعا على معاليها .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم . إن التشبه بالرجال فلاح

والله المستعان

(١) القصص : ٢٦ .

(٢) انظر فتح الباري ٤ / ٢٤٨ قال ابن حجر : أخرجه البيهقي بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب

وانظر الجلالين ٣ / ٢٤٥ .

الخاتمة

من خلال سياحتي العلمية في هذا البحث أستطيع أن أبين أهم ما احتوى عليه وهو كالآتي :

١- جمع كل ما يخص الألفاظ المتعلقة بالجنس مفسرة من أمهات التفسير وكتب اللغة.

٢- تعرض بالتفصيل للمشكلات التي تعوق مسير الأسرة وقد تؤدي إلى انهيارها- الأب- الأم- الابن- البنت- الإعلام - المدرسة - القدوة

مثل مشكلة الحيض عند ذى الغلطة من الرجال، مشكلة إباء الزوجة على زوجها وحرمانه من حبله وحقه الشرعي وبيئت أن ذلك حرام شرعاً.

العلاج القرآني لمشكلة عصيان الزوجة لزوجها وارتفاعها عليه وبيئت كيف السبيل للقضاء على النشوز واستئصال جذوره بالمراحل المحددة في القرآن.

وردت بالحجج العلمية على الذين يغمزون الإسلام بسبب إباحة الضرب كعلاج للنشوز.

- كذلك تعرضت لمرض خطير نسمع عنه ونقرأه في الصمت وهو الخيانة الزوجية باتخاذ الأخدان والعشاق وبيئت أن الطلاق - في أحوال- يهش له مثل الزواج تماماً بتمام.

- كذلك تعرضت لمشكلة عزوف الزوج عن زوجته وإهمالها بالكلية وأظهرت أن ذلك حرام شرعاً حتى ولو كان الصارف للزوج أمر من أمور العبادة والطاعة.

- كذلك مرض العصر اكتناز الأموال بطول السفر والغياب عن الأهل وبيئت فيه ظلم الزوج وجنائته وحد الصبر عند المرأة ومتى ينتهى.
- كذلك فصلت القول فى الإنفاق وأن عدم الإنفاق يرفع قوامة الرجل عن روجه حيث إن من مكونات القوامة الإنفاق وفرقت بين عدم الإنفاق بخلا وعدمه عسراً.
- كذلك عبت بالأدلة على السُّقطة من الناس الذين يَحْتَوُوا لهم إتيان النساء فى أدبارهن وحققت القول بما لا مزيد عليه فى هذه المسألة وانتهيت إلى تأييد الحرمة فيها ولا شئ غيره.
- وطرقت موضوع التكافؤ الجنسى وأنه مطلوب لدوام الحياة والعشرة بين الزوجين مفصلاً أقوال العلماء فى التكافؤ من هذه الناحية.
- كذلك أسهبت القول فى كثرة الحلف بالطلاق وتعريض الأسرة للانهيار بسبب الظهار وأبنت عن الظلم الواقع على نفس المظاهر وكذلك الظلم الواقع على المظاهر منها، وكذا الأطفال وأن الظهار تدمير للأهل والنفس والولد.
- كذلك قمت برصد ظاهرة تشيطن الأولاد وارتيابهم الفظائع رغم صغرهم وسلطت الضوء على التسمية عند اللقاء الجنسى حتى يتحول من شهوانية بهيمية إلى عبادة وتصدق يكتب فى صحيفة الجسنيات عند الملتزم بذلك كما أظهرت مشاركة الشيطان للمجامع عند إغفاله ذكر الله.
- ثم تطرقت إلى سياسة المراهقين.
- وبيئت أن التفريق فى المضاجع من أنجع السبل الوقائية للطفل.
- وكذلك أدب الاستئذان وأنه جعل من أجل النظر مظهراً للأوقات المحددة

فى القرآن لذلك . وكيف يجنى علينا وعلى أولادنا من الإعلام المعاصر الذى يحيط كل محاولة للإصلاح والتخلق بأخلاق الإسلام.

- كذلك بينت أن أعظم ما يقدمه أب لابنه هو أن يسرع فى تداركه بالزواج وقاية له من السوء والفحشاء والخنا.

- ثم أظهرت من خلال أحسن القصص كيف الشموخ الإيماني على المغريات والفتن التى تطاردنا ليل نهار . وأظهرت أن الخلاعة والتعري من الحياء فى نساء هذه الأيام - إلا من رحم الله - يعتبر مرآودة وحث للشباب على ارتكاب المحرم شرعاً . والمعصوم من عصمه الله .

هذه هى أبرز نقاط هذا البحث الذى التزم التخصصية واصطبغ بالعصرية الواقعية.

والله أسأل أن يوفقنى لما يحبه ويرضاه إنه نعم المولى ونعم النصير

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

وصلّى الله على النبىء البشير النذير سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

وسلم

بقلم

أبو الزهراء

الفقيه الربى الله العفى /

عبد الفناح بن محمد خضر

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين بالمتنوفية

عفى الله عنه

أمين

صحيفة المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحكام القرآن للجصاص ، دار الكتاب العربي بيروت ، مصورة عن مطبعة الأوقاف العثمانية ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .
- ٣- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ط دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.
- ٤- أسباب النزول للواحدي ، طبع المتنبي بمصر .
- ٥- أسباب النزول للسيوطي ، طبع الدار التونسية.
- ٦- البحر المحيط لأبي حيان « دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤١٢ / ١٩٩٢ م.
- ٧- التحرير والتنوير ط الدار التونسية بدون تاريخ.
- ٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير طبع دار المعرفة بيروت . بدون تاريخ.
- ٩- تفسير آيات الأحكام للصابوني ، مكتبة الغزالي دمشق.
- ١٠- تفسير الجلالين طبع الشمرلي بمصر.
- ١١- التفسير الوسيط ، مجمع البحوث بالأزهر الشريف.
- ١٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي طبع دار مناهل العرفان والغزالي بدمشق بديره.
- ١٣- جامع البيان ، طبع الريان بمصر مصورة عن العثمانية.
- ١٤- حاشية : الجمل طبع الحلبي ودار الفكر الأولى ١٤١٥ / ١٩٩٤ م.
- ١٥- حاشية الشهاب على البيضاوي طبع دار صادر بيروت بدون تاريخ.
- ١٦- حاشية شيخ زادة على البيضاوي طبع دار صادر بيروت بدون تاريخ.
- ١٧- حاشية الصاوي على الجلالين طبع فيصل الحلبي بمصر. بدون تاريخ.
- ١٨- روح المعاني للالكوسي ، دار احياء التراث العربي طبعه الرابعة ١٤٠٥ /

١٩- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ط دار القرآن بيروت ط

الرابعة ١٤٠٢/١٩٨١م.

٢٠- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق بمصر الطبعة الرابعة

عشرة ١٤٠٨ / ١٩٨٧.

٢١- الكشف للزمخشري ، دار الفكر بيروت.

٢٢- محاسن التأويل للقاسمي ، دار الفكر بيروت ، الثانية ١٣٩٨ / ١٩٧٨م.

٢٣- المحرر الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية بيروت ، الأولى ، ١٤١٣

/ ١٩٩٣م.

٢٤- مدارك التنزيل للنسفي ، طبع الحلبي بمصر ، بدون تاريخ.

٢٥- المعجم المفهرس لألغاز القرآن الكريم طبع مؤسسة جمال بيروت بدون

تاريخ.

٢٦- مفاتيح الغيب للرازي ، دار الفكر بيروت، الثالثة ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥م.

٢٧- مقومات الحياة من القرآن الكريم د/ ابراهيم خميس ، دار الصحوة

بمصر.

- الحديث وعلومه -

٢٨- زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ، المكتبة المصرية ، بدون

تاريخ.

٢٩- صحيح البخاري ، طبع عبد الرحمن محمد بمصر.

٣٠- فتح الباري لابن حجر ، طبع عبد الرحمن محمد بمصر.

٣١- صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية.

٣٢- سنن أبي داود ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٣٣- سنن ابن ماجة ط، الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٧ م.

٣٤- سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ / ١٩٨٧ م.

٣٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم أبا دى، دار الفكر بيروت ط

الثالثة سنة ١٣٩٩.

٣٦- مسند أحمد، دار الكتب العلمية بيروت.

٣٧- موطأ مالك، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣٨- الدعوة والثقافة الإسلامية والسير

٣٩- الأسرة فى التشريع الإسلامى. محمد السنهورى. الجهاز المركزى

للكتب مصر سنة ١٩٨١.

٤٠- إحياء علوم الدين للغزالي. دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٤١- حب والجنس من منظور إسلامى، محمد قطب مكتبة القرآن مصر،

بدون.

٤٢- حجة الله البالغة، دار التراث، القاهرة. بدون تاريخ.

٤٣- عمر بن الخطاب. عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، الأولى،

١٩٩١/١٤١٢.

٤٤- مشكلات الشباب، د/ عباس محجوب، الدوحة قطر، الأولى،

١٤٠٦ هـ.

- اللغة العربية -

٤٤- تهذيب اللغة للأزهري، الدار المصرية للغات والترجمة، مصر، بدون تاريخ.

٤٥- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف مصر، بدون تاريخ.

٤٦- المفردات فى غريب القرآن للراغب . دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ.

٤٧- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، طبع الحلبي.

الفقه

٤٨- فتاوى معاصرة د/ القرضاوى ، دار الوفاء ، الخامسة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٤٩- فقه السنة - سيد سابق. دار الكتاب العربى ، الخامسة ١٤٠٣ / ١٩٨٢م.

٥٠- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦ / ١٩٨٦م.

٥١- سبل السلام للصنعانى . دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٥٢- نيل الأوطار للشوكانى ، دار التراث مصر . بدون تاريخ.

- دوريات ومؤتمرات -

* مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ١٤١٩ / ١٩٩٨م.

* مؤتمر السيرة والسنة الرابع « مجمع البحوث بالأزهر ش ١٤٠٦ / ١٩٨٥م.

* مؤتمر الشباب « مستلة » من مؤتمرات الأزهر سنة ١٩٧١.

* منار الإسلام ، دولة الامارات ، وزارة الأوقاف.

* اللواء الإسلامى ، مصرية أسبوعية.